سُورَةُ الأَنفَالِ

تعريف عام بسورة الأنفال:

سورةُ الأنفالِ مدنيّةٌ، وقد حكى الإجماعَ على مَدَنيَّتِها غيرُ واحدٍ[1]، وابتُدِئَ نزولُها في مكانِ بَدرٍ، عَقِبَ الواقِعةِ، وقبلَ الانصرافِ منها، وهي مَعدودةٌ فيما نزَلَ أوَّلُه في أسفارِه ﷺ، فقد نزلَت والنّبيُّ ﷺ في بدرٍ خارجَ المدينة، وهذا ممّا يُدرَجُ في عِدادِ المدنيّ، ويُلحَقُ به.

وهي خمسٌ وسبعون آيةً في الكوفيّ، وستٌّ وسبعون آيةً لدى المَدَنيّين والمكّيّ والبصريّ، وسبعٌ وسبعونَ آيةً في العدّ الشّاميّ[2].

ترتيبُها في المصحف وفي النّزول:

كَوْنُها بين البقرة وآل عمران تشريفٌ

ترتيبُ سورةِ الأنفالِ في المصحفِ بينَ سورةِ الأعرافِ وسورةِ التّوبةِ، وهي السّورةُ السّابعةُ في ترتيبِ المصحفِ[3]، وترتيبُها في النّزولِ بينَ سورةِ البقرةِ، وسورةِ آلِ عِمران[4].

تسميةُ السّورةِ:

الأنفالُ: اسمٌ لم يُرَسَّ على الوضْعِ، بل على التّوقيفِ

الأنفالُ هو اسمُ السّورةِ المشهورُ التّوقيفيُّ الّذي أجمعَ على ذكره كلُّ مَن تحدّثَ عنِ السّورةِ، وكتبَ عنها وعن ملابسات نزولِها وآياتِها، وهو المكتوبُ في المصاحف الّتي أُرسِلَت إلى الأمصار، وهو المذكورُ في رواية الواحديّ في أسباب النّزول: عن سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه قال: لمّا كان يومُ بَدرٍ، قُتِلَ أخي عُمَير، وقتلتُ سعيدَ بن العاص، فأخذتُ سيفَه، وكانَ يُسَمَّى ذا الكَيفَةِ، فأتيتُ النّبيَّ ﷺ فقال: «اذهبْ فاطرحْه في القبض»، فرَجَعتُ، وبي ما لا يعلمه إلّا

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/8، والفِيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 222/1، وابن حجر، فتح الباري: 657/8، والآلوسيّ، روح المعاني: 157/9، ورشيد رضا، المنار: 536/9.

(2) أبو عمرو الدّاني، البيان في عدّ الآي، ص: 158، وابن الجوزيّ، فنون الأفنان، ص: 284.

(3) البيهقيّ، دلائل النّبوّة: 152/7، والسّيوطيّ، أسرار ترتيب القرآن، ص: 88.

(4) الزّركشيّ، البرهان: 194/1، والسّيوطيّ، الإتقان: 43/1، ودروزة، التّفسير الحديث: 16/1.

اللّه مِن قَتلِ أخي، وأخذِ سَلَبي، فما جاوزتُ إلّا قريبًا حتّى نزلَت سورةُ الأنفال[1].

فقولُه: (حتّى نزلَت سورةُ الأنفالِ) نصٌّ في ثبوتِ هذا الاسمِ لها منذ نزلَتْ، فهو اسمٌ توقيفيٌّ.

وجاء ذكرُ اسمِ الأنفال في صحيح البخاريّ: عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عبّاسٍ ﷺ: سورة الأنفال، قال: نزلَت في بدرٍ[2].

المُستفادُ مِن تَسميَتِها سورَة (بدر) وسورة (الجهاد)

سورة (بَدر)، وقد ثبَتَ هذا الاسمُ لسورة الأنفال عن ابن عبّاس ﷺ، ففي الصّحيحين عن سعيد بن جبير، قال: «قُلتُ لابنِ عبّاس: سورةُ الأنفال؟ قال: تلك سورةُ بدر»[3].

وتسمّى سورة (الجِهاد): وهو اسمٌ اجتهاديٌّ لِذكرِ أحكامِ القتالِ والغنائم فيها، ولكونِ السّورة نزلَت في غزوةِ وجِهادٍ[4].

التعريف بمعنى كلمة الأنفال

والأنفالُ: لُغَةً: جمع (نَفَلَ) بفتح النّون والفاء، وأصلُ مادّة (نفل) العطاءُ والإعطاءُ.

جاء في معجم العين: "النَّفَل: الغُنمُ، والجميع الأنفال، ونَفَّلتُ فلانًا أعطيته نفلًا وغُنمًا، والإمام يُنَفِّلُ الجُندَ: إذا جعل لهم ما غنموا. والنّافلة: العطيّة يُعطيها تطوُّعًا بعدَ الفريضةِ من صدقةٍ أو صلاحٍ أو عملِ خيرٍ"[5].

وقال الزَّبيديّ: "ونفله النَّفَل ونفّله تنفيلًا وأنفله إنفالًا: أعطاه إيّاه؛ أي: النَّفَل... ونَفَل نَفلًا: أعطى نافِلةً منَ المعروف، ونفَل الإمامُ الجندَ: جعلَ لهم ما غنموا.. والنّافلة: العطيّةُ عن يدٍ.

(1) أخرجه أحمد في مسنده، رقم: (1555): 222/1، وابن جرير في تفسيره: 173/6، ويُنظر: الواحديّ، أسباب النّزول، ص: 231.

(2) متّفقٌ عليه، أخرجه البخاريّ، كتاب التّفسير، باب سورة الحشر، رقم: (4882): 364/6، ومسلم، كتاب التّفسير، باب في سورة براءة والأنفال والحشر، رقم: (3031): 2322/4.

(3) متّفقٌ عليه، أخرجه البخاريّ، كتاب التّفسير، باب سورة الحشر، رقم: (4882): 364/6، ومسلم، كتاب التّفسير، باب في سورة براءة والأنفال والحشر، رقم: (3031): 2322/4.

(4) البقاعيّ، مصاعد النّظر: 144/2، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 214/8.

(5) الخليل، العين: (نفل).

قال لبيد: للّهِ نافِلَةُ الأجَلِّ الأفضَلِ.

ورجلٌ كثيرُ النّوافل؛ أي: العطايا والفواضل، وكلُّ عطيّةٍ تبرَّع بها مُعطيها من صدقةٍ أو عملِ خيرٍ فهي نافلةٌ"[1].

من هذا البيان لأصل مادّةِ (نفل) تتّضحُ دلالتُها على العطاء والإعطاء، والزّيادة في التّبرع والمنح.

مناسبة التسمية بالأنفال:

وحين ينظرُ القارئُ المتدبِّرُ في سورة الأنفال، يَجِدُ أنّها مُفعمةٌ وحافلةٌ بأنواع العطايا الرّبّانيّةِ لأهل الإيمان، وفي مقدِّمَتِهم الرّسولُ المُجتبَى ﷺ:

سـورةُ الأنـفـال تَـنـزّلَـتْ بسُبُلِ هِدايةِ المؤمنين

أوّلًا: من ذلك هدايةُ المؤمنين إلى الإيمانِ، ونَبذُ كُلِّ مظاهرِ الشِّركِ في حياتهم، وزيادةُ إيمانهم كلّما تُليَت عليهم آياتٌ من آياتِ ربِّهم، هذا عطاءٌ ربّانيٌّ عظيمٌ لا يَشعرُ به إلّا مَن ذاقَ ظُلُماتِ الجهلِ في أثناء عبوديّته للأصنام والتّخبّط في حمآت الشّركِ والضّلالِ النّتنةِ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: 2].

الوَعْد من الرَّزّاق بـخَـيْرَيِ الـدّنيا والآخرة

ثانيًا: هؤلاء المؤمنون الّذين ذاقوا حلاوةَ الإيمان، واتّصفوا بوَجَل القلوبِ وخشيتِها منَ الله الجليل، وترقّوا في مدارج الصِّفاتِ الإيمانيّةِ القلبيّةِ، وترجموا إيمانَهم في إقامة الصّلواتِ، وأنواع الإنفاقِ، وغيرها من أعمالِ البرِّ والإحسانِ، هؤلاء المؤمنون موعودون من ربّهم بأعلى الدّرجاتِ والمغفرةِ والرّزقِ الكريم، ولا يخفى ما في هذا الثّوابِ العظيمِ المذكورِ لهم من عظيم العطاءِ وسخيِّ الإنعامِ تكريمًا وإحسانًا، وهذا العطاءُ الرّبّانيُّ الكبيرُ يناسبُه عنوانُ الأنفال، فهو تكريمٌ وعطاءٌ وزيادةٌ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

(1) الزّبيديّ، تاج العروس: (نفل).

﴿ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٤﴾

[الأنفال: 4].

إعْـلاءُ كَـلِـمَـةِ الـحَـقّ ونَـشْـرُ دَعْوةِ الإسلامِ

ثالثًا: كان المسلمون الأوائل الّذين خرجوا مع رسول الله ﷺ يريدون الطّائفةَ المحمَّلةَ بالتِّجارة والأموال، نظرًا لِلظُّلم الّذي عانَوه مِن قريشٍ حين أُخرِجوا من ديارِهم وأولادِهم وأموالِهم، وذلك مَبلَغُ عِلمِهم البشريِّ، وكانوا قد وُعِدوا بالنّصر عليهم، والظَّفَرِ بهم إذا التَقَوا بهم وواجهوهم، فكانت نفوسُهم توّاقةً إلى أخذِ شيءٍ من ثأرهم، واسترجاعِ شيءٍ من أموالهم وتجارتهم تكون عِوضًا لهم عمّا فقدوه وسُلِبوه في مكّةَ المكرّمةِ، ولكنّ اللّه العليمَ الحكيمَ أرادَ لهم شيئًا أكبر من هذا، أرادَ لهم سبحانه أن يلتقوا بالطّائفة ذاتِ الشّوكة فيكسروا شوكتَها بإذن اللّه تعالى، أرادَ لهم النّصرَ المبينَ المؤزّرَ على أعتى قوّةٍ عسكريّةٍ كانت تتزعّمُ أحزابَ الشِّركِ في تلك الفترة الجاهليّة، أرادَ لهم سبحانه أن تكونَ لهم دولةٌ قويّةٌ لها شأنُها ومَهابَتُها، قائمةٌ على التّوحيدِ وإخلاصِ العبادة للّه تعالى وتحكيمِ شرعِه في الأرض.

أراد جلَّ شأنُه أن يكونَ لهم اسمٌ تحت الشّمسِ؛ ليهابَهُم ويحسبَ حسابَهُم أهلُ الشّركِ والضّلالِ في كلّ مكانٍ في ذلك الزّمن، ويُحقَّ من خلالهم الحقَّ ويُبطلَ الباطلَ، ويعلمَ العالَمون أنّه ثمَّة إلهًا عظيمًا وربًّا مُهيمنًا هو الّذي يديرُ الكونَ كلَّه، ولا بدّ أن تعودَ إليه النّفوسُ، وتعنوَ إليه الوجوهُ، وتخشعَ في محراب عبادته القلوبُ، ولا ريب أنّ هذا العطاءَ الرّبّانيَّ الّذي حقّقَه اللّهُ سبحانه للمؤمنين من خلال نصرهم في غزوة بدرٍ، هو أكبرُ بكثير ممّا كان الصّحابةُ الكرامُ يفكّرون فيه من عير قريش وتجارتها، وأين هذا العَرَضُ القريبُ من ذاك العطاءِ الرّبّانيِّ السّاميِّ الّذي به أصبحَت للمسلمين دولةٌ عظيمةٌ في الأرض؟

من هنا نقرّرُ: إنّ تسميةَ هذه السّورة بـ(الأنفال) هو أدقُّ اسمٍ مُعبِّرٍ عن هذا النَّفَلِ العظيمِ والعطاءِ الرّبّانيِّ الجزيلِ.

نَـجْـدَةُ الـلـهِ تعالى للمؤمنين المُستغيثين به

رابعًا: ثُمَّ توالَت أنواعُ الأنفالِ الّتي مَنَّ اللّهُ الكريمُ المنعمُ الوهّابُ بها على فريق المؤمنين، وهم في بدء المعركةِ وفي أثنائها، فاستجابةُ ربّهم لهم وهم يستغيثون نَفَلٌ عظيمٌ، وإمدادُهم بفريقٍ منَ الملائكة الّذين أُنزلوا مُردفين لتقوية صفوفهم نَفَلٌ عظيمٌ، وطَمأنَةُ قلوبهم وهُم في قلب المعركةِ، وقد حَميَ وطيسُها نَفَلٌ عظيمٌ، خصّهم اللّهُ الجليلُ به، وتَغشيتُهم بنُعاسٍ في تلك اللّحظات الّتي تطيرُ فيها القلوبُ وتفزعُ فيها النُّفوسُ نَفَلٌ عظيمٌ، وإنزالُ ماءِ السّماءِ عليهم وتطهيرُ قلوبِهم من رجزِ الشّيطانِ ووسوستِه، والرّبطُ على قلوبهم، وتثبيتُ أقدامِهم في ساحة الوغى نَفَلٌ عظيمٌ، وأمرُ اللّه الجليل ملائكتَهُ بتثبيت قلوبِ أهلِ الإيمان، وإلقاؤه سبحانه الرُّعبَ في قلوبِ الّذين كفروا هو لا ريبَ مِن أعظم أسلحةِ النّصرِ الّتي منَّ بها سبحانه على النّبيّ ﷺ وفريقِ المؤمنين معه.

كلُّ هذه العطايا الّتي سخّرها اللّهُ تعالى لنصرة أهلِ الإيمانِ هي منَ الأنفال العظيمةِ والمنح الجليلةِ والعطاءات الكبيرةِ الّتي ما كانت لتَتَحقَّقَ لولا إرادةُ الجليل وحكمتُه وتدبيرُه. ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: 9] إلى قوله تعالى: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال: 11].

تَوْجيهاتٌ حَرْبيّة مِن رَبّ البَريّة

خامسًا: من ناحية أخرى، النّصائح الإيمانيّة والتّوجيهات الحربيّة العسكريّة الدّقيقة، مثل: قوله تعالى: ﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: 12]، وقوله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُـمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: 15 - 16].

هذه النّصائحُ والتّوجيهاتُ الرّبّانيّةُ من أعظم الأنفالِ الّتي جناها المسلمون، وتعلّموها من غزوة بدر الكبرى، وتمسّكوا بها في معاركَ كثيرةٍ بعدها، وكان النَّصرُ حليفَهم عندما أخلصوا لله سبحانه، وأحسنوا التّخطيطَ والتّدبيرَ والاستعدادَ والأخذَ بالأسباب.

ظُهورُ الكافِرينَ عَلى حَقيقَتِهم مِنَ الضّعْفِ والخَوَر

سادسًا: توهينُ كيدِ الكافرين، وقطعُ شوكتهم، وتعريفُ المؤمنين بحقيقة الكافرين، وبأنّهم شرُّ الدّوابّ، وبأنّهم لا يسمعون سماعَ تعقُّلٍ، ولا ينظرون في دلائل التّوحيد نَظَرَ تَبَصُّرٍ، كُلُّ هذا التّبصيرِ الرّبّانيّ يزيدُ فريقَ المؤمنين إيمانًا مع إيمانهم، ويُبصّرُهم بحقيقة عدوِّهم، ويتعرّفون على مكامن الضّعفِ فيه، فتكون كلمةُ أهل الإيمان هي العليا في كلِّ لقاءٍ يجمعُ بين أهل الإيمان وأهل الكفر، وهذه البصائرُ والبياناتُ الرّبّانيّةُ كلُّها عطاءاتٌ إلهيّةٌ، ما كان المؤمنون ليتعرّفوا عليها لولا غزوةُ بدر الكبرى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنفال: 18]، ﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ [الأنفال: 19]، ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنفال: 21]، ﴿*إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال: 22].

إيقاظُ الحَياةِ في قلوبِ المُستَجيبين، والظّفر بمعيّة الله تعالى

سابعًا: تبشيرُ المؤمنين بمعيّة الله الجليل، وأنّ اللّهَ مع المؤمنين، وتوصيتُهم بالاستجابة لله ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: 24]، ونُصحُهم بالإخلاصِ وعدمِ الخيانة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: 27]، كلُّ هذه البشرياتِ والتّوجيهاتِ الرّبّانيّةِ النّافعةِ منَ الأنفال العظيمةِ، الّتي نفّلَها اللّهُ العليمُ الحكيمُ المؤمنين من خلال سورة الأنفالِ الّتي أنزلها سبحانه، مُحَمّلةٌ بالدّروس حافلةٌ بالعِبَر، الّتي هي آثارٌ ونتائجُ مباركةٌ من نتائج غزوةِ بدرٍ في بناء الفكرِ السّديدِ المستقيمِ في العقول والأذهان، والإيمانِ الرّاسخِ القويّ في القلوب والوجدان.

الإيـواءُ والنّصرة مِـنَ الـجـلـيـل لِعبادِهِ المؤمنين

ثامنًا: إيواءُ اللّه الجليلِ لأهل الإيمانِ، وتأييدُهم بالنّصر، وتقويةُ جانبِهم بعدما كانوا مستضعفين، ورزقُهم بأنواع الطّيّباتِ، كلُّ أولئك منَ الأنفال الرّبّانيّة والعطاءات العظيمة الّتي مَنَّ بها سبحانه عليهم، وسجّلَتها سورةُ الأنفال: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦﴾ [الأنفال: 26].

الـوعْـدُ بـوافِـر الـجَـزاءِ في العاجِلَةِ والآجلة

تاسعًا: خاطبَ اللّهُ سبحانه أهلَ الإيمان، ووَجّههم إلى الاستمساك بحبل اللّه القويِّ، ووعدَهم بعظيم الجزاء في الدُّنيا، وهو أن يجعلَ لهم فرقانًا ونورًا يستبينون به الحقَّ منَ الباطل، ووعدَهم بتكفير السّيِّئات ومغفرة الذّنوب في يوم القيامة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الأنفال: 29]، أوليس هذا المنُّ الإلهيُّ والعطاءُ الرّبّانيّ من أعظم الأنفال؟

ملامِحُ التَّمْكين بـهـجْـرَةِ خـاتَـمِ النّبيّين

عاشرًا: ذكرَ سبحانُه في سورة الأنفال مشهدًا من مشاهد الهجرةِ النّبويّةِ الّتي جعلها اللّهُ تعالى فاتحةَ عصرٍ جديدٍ للإسلام ودين القرآن، ونقطةَ انتقالٍ من حالة الاستضعافِ والقلّةِ والفقرِ إلى حالة القوّةِ والدّولةِ والتّمكين، حيث ذكّر سبحانه نبيَّه ﷺ بفضله عليه، ورعايته له، وحفظه، حين تكالبَت عليه قوى الشّرّ والشّرك: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ [الأنفال: 30]، ولا ريبَ أنّ التّمكينَ لنبيِّ الإسلام وحفظَه في هجرته وبناءَ دولةِ الإسلام في المدينة المنوّرة من أعظم العطاءاتِ الرّبّانيّة، وأفضل الأنفالِ الّتي كتبَها اللّهُ الجليلُ لأهل الإيمان، وسجّلَتها سورةُ الأنفال.

وُجـودُ الرّسـولِ المُجتبى بينهم، أمانٌ مِنَ العذابِ

الحادي عشر: إعلانُ اللّه الجليلِ الكريم في سمع الزّمان والمكان أنّه ما كان ليُعذّبَ المشركين في مكّةَ، ورسولُ اللّه بين أظهرهم، وهذا

من أعظم المِنَنِ الرّبّانيّة وأعظم العطاءاتِ الإلهيّةِ الّتي خصّ بها نبيَّه محمَّدًا ﷺ، وهو نَفَلٌ مِن أكرم الأنفال، لو أنَّ قريشًا خفَّفَتْ من غلواء كفرها، ونظرَتْ بعين العقلِ في دعوة الإسلام: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: 33].

دعـــوة الـلـه الكافرين للإنابةِ إلـــى سَـبـيـل المؤمنينَ المُنْجيَةِ

الثّاني عشر: دعوةُ الله تعالى المتجدّدةُ لأهل الكفرِ للانتهاء عنِ الكفر والشّرك، واعتناقِ عقيدةِ التّوحيدِ، وتحفيزهم بالمغفرة وإدخالِ الجنّاتِ منَ النَّفَل العظيم الّذي حفلَت به سورةُ الأنفال، وهي دعوةٌ مفتوحةٌ عابرةٌ للقارّات، نافذةٌ في الأزمان، تتحقّقُ نتائجُها كلّما ثابَ النّاس إلى رشدهم، وآبوا إلى ربّهم: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنفال: 38]، فأبوابُ التّوبة والمغفرة مفتوحةٌ لجميع النّادمين الأوّابين المُنيبين.

تِـبْـيـانُ أحـكـامِ توزيعِ الغَنائم، بـــالـــعَـــدل والـتّـكـافُـل والمُساواةِ

الثّالث عشر: الغنائمُ الّتي أنعمَ اللّهُ الكريمُ الوهّابُ بها على فريق المؤمنين في غزوة بدرٍ منَ الأنفال المادّيّة الّتي أنعمَ اللّهُ الكريمُ على المؤمنين بها، وشكرُ الله عليها واجبٌ لزامٌ، فلولا تمكينُ الله وعَونُهُ ونَصرُهُ لهم ما ذاقوا لها طعمًا، والأفضلُ من نعمة الغنائم نعمةُ حُسنِ تقسيمها، والمجتمعُ المسلمُ قائمٌ على العدلِ والتّكافلِ والتّراحمِ والتّعاونِ، وعندما يسعدُ ذوو القربى واليتامى والمساكين وأبناءِ السّبيل فيه، فإنّ البهجةَ والسّعادةَ تعمُّ جميعَ أبناءِ المجتمعِ، وفي مقدّمتهم رسولُ الأمّةِ الرّؤوف الرّحيم: ﴿۞وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال: 41].

قَـدَرُ اللهِ بوُقوعِ الحَرْبِ حِكْمَةٌ، ونَـصْـرُه أكْـبَرُ غَنيمَةٍ

الرّابع عشر: تقديرُ اللّهِ العليمِ منذُ الأزلِ وقوعُ هذه المعركة هو من أعظم الأنفالِ الّتي جناها المسلمون من خلالها، وقد ذكَرَ سبحانه أنّه أوقعها بتدبيره المباشر، ولو أنَّ المؤمنين تواعدوا مع المشركين

لاختلفوا في الميعاد، وتقليلُ المشركين في أعين المؤمنين، ورؤيا الرّسول ﷺ المُبشّرة له بكلّ خيرٍ الّتي استيقظَ بعدها مُستبشِراً بالنّصر المبين، وبيانُ الله في آيات السّورةِ أنّه هو الّذي أصاب مقاتلهم، وأنَّ الرّميَ رميُه والتّدبيرَ تدبيرُه، كلُّ أولئك مِن أعظم الأنفالِ والعطايا الّتي سَعِدَت بها السّورة: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17]، ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: 42]، ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًاۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [الأنفال: 43]، ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال: 44].

وجملةُ القول: إنّ كلَّ ما سعِدَت به سورةُ الأنفال من بدايتها إلى ختامها من آياتٍ وموضوعاتٍ، هي في جملتها نِعَمٌ جسيمةٌ، وعطاءاتٌ ربّانيّةٌ عظيمةٌ متنوّعةٌ روحيّةٌ وعلميّةٌ ومادّيّةٌ ومجتمعيّةٌ، وما كان المؤمنون ليتعرّفوا عليها لولا غزوةُ بدرٍ الكبرى الّتي جعلها اللّهُ محطّةً زمنيّةً مهمّةً في تاريخ الرّسالة الإسلاميّة، ولو أنّنا تتبّعنا كلَّ آيةٍ من آيات هذه السّورةِ الجليلةِ لألفَيناها تفيضُ بنوعٍ من أنواع العطايا الرّبّانيّة الكبيرة، البانيَةِ للرّوح الإيمانيّة، المثبّتةِ للإيمان، الغارسةِ للأخلاق، المعلّمةِ لشؤون الحرب، المؤرّخةِ للمعركة الفُرقانيّة، المسجّلةِ لأحداثها المتفرّدة.

ويجدُ القارئُ المتدبِّرُ أنَّ اسمَ الأنفال المُشتَقَّ منَ العطاء والإعطاء هو أدلُّ الأسماءِ على هذا الملمحِ العظيمِ من ملامح السّورة الّذي أبرزَته وجَلَّتهُ إلى الواقع، وأوضحَته في الأذهان غزوةُ بدر الكبرى وملابساتُها المتنوّعة الّتي هي المحورُ العامُّ لبناء السّورة.

محورُ السّورةِ وموضوعاتها:

من خلال دراسةٍ شاملةٍ مُستَقصيةٍ لأهمِّ الموضوعاتِ الّتي تناولتها سورةُ الأنفال، يتبيّنُ أنّ المِحوَرَ العامَّ للسّورة هو: الحديثُ عَن غزوة بدرٍ الكبرى، وأسبابِ النّصرِ فيها، وصفاتِ المؤمنين المنصورين، وتذكيرِ أهلِ الإيمانِ بنعم الله السّوابغ عليهم.

وهذا المحورُ المتعلِّقُ بأسباب النّصرِ في بدرٍ وملابساتِ المعركة، وبيانِ أنَّ النّصرَ الحقيقيَّ هو من عند الله العليِّ العظيمِ تقديرًا وتحقيقًا، يجدُ قارئُ سورة الأنفال أنّ

أحـداثُ غَـزْوةِ بَـدْرٍ الـكُـبرى، وحَيْثيّاتُ النَّصْرِ والتّمكينِ

جميعَ الموضوعات الّتي تناولتها السّورةُ تدورُ حولَ هذا المِحورِ العامِّ، وتَلتَفُّ حولَه، ويَحسُنُ في هذه التّقدمةِ للسّورة أن نشيرَ إلى أبرز الموضوعاتِ بيانًا لالتفافها حولَ المحور، وتنبيهًا إليها؛ لأنَّ العِلمَ بالغرض يُساعدُ القارئَ المتدبّرَ على الوقوف على كثيرٍ منَ النّكاتِ واللّطائفِ البيانيّةِ والاختياراتِ اللّغويّةِ الّتي جاء عليها النّظمُ الجليلُ في هذه السّورة.

الموضوع الأوّلُ: تحديدُ الأنفال وكيفيّةُ تقسيمها يعودُ شأنها إلى اللّه ورسوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال: 1].

الموضوع الثّاني: صفاتُ المؤمنين المؤهّلين لنصر اللّه الجليل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: 2] .... إلى قوله تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: 4].

الموضوع الثّالث: وصفُ ظروفَ خروجِ المسلمين إلى المعركة بصحبة النّبيّ ﷺ: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنفال: 5] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنفال: 8].

الموضوع الرّابع: وصفُ جملةً من عطاءات اللّهِ تعالى للمؤمنين في أثناء المعركة: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأنفال: 9] إلى قوله تعالى: ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الأنفال: 14].

الموضوع الخامس: توجيهاتٌ ربّانيّةٌ للمؤمنين المقاتلين، وبيانُ أنَّ النّصرَ نصرُ اللّه، والرّميَ رميُه، والتّدبيرَ تدبيرُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ﴾ [الأنفال: 15] إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنفال: 19].

الموضوع السّادس: طاعةُ اللّه ورسوله، والاستجابةُ لهما، والأخذُ

بأسباب التّقوى عواملُ استحقاقِ النّصرِ وجسرٌ لبلوغه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: 20] إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الأنفال: 29].

الموضوع السّابع: تذكيرُ النّبيِّ ﷺ بنصره في الهجرةِ النّبويّةِ، وذِكرُ عنادِ قُرَيشٍ وشدّةِ كُفرِها واستحقاقِها لأنْ تُجابَهَ بالقتال، وبعذابِ اللّهِ المنتَقمِ الجبّارِ: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنفال: 30] إلى قوله تعالى: ﴿وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠﴾ [الأنفال: 40].

الموضوع الثّامن: كيفيّةُ تقسيمِ الغنائم، وبيانُ تدبيرِ اللّهِ العليمِ الحكيمِ في إدارة المعركةِ وفقَ علمه الأزليّ ﴿۞وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ [الأنفال: 41] إلى قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٤٤﴾ [الأنفال: 44].

الموضوع التّاسع: توجيهاتٌ ربّانيّةٌ للأخذ بأسباب النّصر، ووصفٌ لانهزام الكافرين: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ﴾ [الأنفال: 45] إلى قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ بِظَلَّـٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٥١﴾ [الأنفال: 51].

الموضوع العاشر: تذكيرُ الكافرين المكذّبين من قريشٍ بمَصيرِ المُكذّبين السّابقين، ووصفهم بأنّهم شرُّ الدّوابِّ لتعطيلهم وسائلَ التّعقُّلِ والإدراكِ: ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ [الأنفال: 52] إلى قوله تعالى: ﴿فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٥٧﴾ [الأنفال: 57].

الموضوع الحادي عشر: حِزمَةٌ ثانيةٌ منَ التّوجيهاتِ الرّبّانيّة مساعدةٌ لتحقيق النّصرِ في معارك العقيدةِ بشكلٍ عامٍّ: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ﴾ [الأنفال: 58] إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ٦٦﴾ [الأنفال: 66].

الموضوع الثّاني عشر: معالجةُ موضوعِ الأسرى، ودعوتُهم إلى الإيمان باللّه ورسوله، وتشجيعُ أهل الإيمانِ قاطبةً على الهجرة والجهاد بالمال والنّفس: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ﴾ [الأنفال: 67] إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥﴾ [الأنفال: 75].

من خلال هذا العرضِ الموجزِ لجميع آياتِ السّورةِ والموضوعاتِ الّتي تناولتها، يتَبَيَّنُ لقارئ الذِّكرِ المُتَدَبِّر كيف أنَّ جميعَ هذه الموضوعات جيءَ بها في مواضعها خادمةً للمحور العامِّ الّذي جاءَت سورةُ الأنفال تُعالجُه وتُثَبِّتُه في قلوب المؤمنين، الّذي مُفاده أنّ النَّصرَ في غزوة بدرٍ هو تقديرُ العزيزِ العليمِ وتدبيرُه، وبيانُ أهمِّ مقوّماتِ النّصرِ في معارك العقيدةِ بشكل عامٍّ.

الفرائدُ اللّفظيّةُ في السّورة:

﴿ٱلشَّوۡكَةِ﴾ في قوله: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ﴾ [الأنفال: 7]، وهي لفظٌ مَسوقٌ من جِنسِ ما دارَت حولَه السّورةُ من موضوع الغزو والجهاد، فجاءَت كنايةً عن أدواتِ الحربِ منَ السّلاحِ والقوّةِ، وتصويرًا لِمعاني الحِدّة والشِّدّة المادّيّةِ والمعنويّةِ، الّتي تستغرقُ حالَ القِتال، وتُشحَنُ بها نفوسُ المُقاتِلين تشبيهًا بالشّوكَةِ الحادّةِ النّافذة في هيئتِها وأثَرِها.

﴿زَحۡفًا﴾ في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥﴾ [الأنفال 15]، وهذا اللّفظُ منَ المفردات الّتي تَسَمَّت بها المعاركُ وتخصّصَت بها، لِما في الزّحفِ من معنى المُضيّ الّذي يكون منَ المقاتِل نحو عدوّه، ولِما فيه من معنى البُطءِ الّذي يكون في الزّاحِف، فكذلك الغازيّ الحربيّ يكون مُترصِّدًا مُحترسًا لِخطواتِه تجاه عدوِّه، فلا يندفعُ ولا يتهوّرُ، فيستبطِئ ولا يتعجّل، وسُمّيَ الجيشُ الكثيفُ بالزّحفِ؛ لأنّ كثرتَه العدديّةَ تُبطِئُ حركةَ جنودِه، فكان هذا اللّفظُ الفريدُ في السّورة مُقترنًا بهيئةِ المُقاتِل حالَ قِتالِه، وهيئةِ الجيش حالَ تَقدُّمِه وإقبالِه[1].

﴿مُتَحَيِّزًا﴾ في قوله: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ﴾ [الأنفال 16]، فلفظُ التّحيّزِ هو من فرائدِ هذه السّورة، وهو يدلُّ على سلوكٍ مُتكرّرٍ في أفعالِ المُقاتلين، وهو انضمامُ المُقاتِل إلى حيّزِ الظّهيرِ والمَدَدِ في الجيش إذا أعوَزَه ذلك واضطرَّ إليه، وقد انسبكَ اللّفظُ في تركيب﴿مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾؛ ليدلَّ على أنّه يَفيءُ وينحازُ إلى الفِئة الّتي تُعضِّده وتُعينُه على عدوّه، وليس يَفيءُ فِرارًا أو جُبنًا[2].

﴿مُكَآءٗ﴾ في قوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٥﴾ [الأنفال 35]، والمُكاءُ لفظٌ على وِزانِ الأصواتِ كالبُكاءِ والنّواحِ، وهو الصّفيرُ بالفم، وفرادَةُ اللّفظِ مَنوطَةٌ بموضوع السّورةِ في الغزو والقِتال، حيثُ إنّ المُكاءَ والتّصديةَ (الصّفير والتّصفيق) كان السّببَ في نزعِ أيديهم عن ولايةِ البيتِ الحرام، وإبعادِهم بالعقوبةِ والنّكالِ، وهو من مُستَتبعاتِ قتالِهم في غزوةِ بدرٍ ومواجهتِهم بالشّدّة

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (زحف).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (حوز)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (حيز).

والحزم، فكأنّه أتى بلفظِ المُكاءِ ليصِفَ هيئتَهم وحالَهم في صلاتِهم عند البيتِ الحرامِ من عدم الاكتراثِ والتّعقّل لِحُرمةِ الصّلاةِ والمسجدِ الحرامِ، حتّى راحوا يُصوّتون فيها بالتّصفير والتّصفيق، كما يُصفِّرُ طائرُ المُكاءِ بعفويّةٍ وعدمِ اكتراثٍ. وهذا اللّفظُ يدلُّ على التّساهُلِ والاستخفافِ الّذي يُقابِلُ معنى الانضباطِ والحزمِ في أعرافِ الغزو وأدبيّاتِ الجهادِ[1].

﴿فَشَرِّدْ﴾ في قوله: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنفال 57]، وقد نزلتِ الآيةُ في أولئك النّاقضين للعهد، إذا تمّ الظّفَرُ بهم أن يُنزِلَ بهم التّشريدَ والإبعادَ الّذي يشتّتُهم، ويردعُ الآخرين عن خيانةِ العهد معه، فسيقَ هذا اللّفظُ الفريدُ ليدلَّ على أتمِّ تطبيقٍ لِمبدأ السّورةِ العامِّ في البأسِ وقوّةِ العزمِ في مُعاملةِ العدوّ، ولا سيّما إذا خانَ وغدرَ.

الأنساقُ التّعبيريّة الّتي تميّزت بها السّورة:

التّراكيبُ المختصّةُ بالسّورة دون سِواها، لَها تَعَلّقٌ بمَوْضوعاتِها الأساسيّة

هنالك نماذج للتّعبير، استقلّت بها سورة الأنفال، دون باقي سور القرآن الأخرى، مثل: ﴿ٱلْأَنفَالِ﴾، ﴿ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾، ﴿ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾، ﴿مُرْدِفِينَ﴾، ﴿خُمُسَهُۥ﴾، ﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾، وهذه الأنساقُ التّعبيريَّةُ لم تأتِ في سورةٍ أخرى، وجميعُها له ارتباطٌ بمقاصد السّورةِ ومضامينها، فـ﴿ٱلْأَنفَالِ﴾ تتضمّنُ عرَضَ الدّنيا الّذي أُريدَ منهم ألّا يتنافسوا عليه، و(ذاتُ البيْن) كنايَةٌ عن مُقتضى إفراغِ قلوبهم من عرضِ الدّنيا، وهو امتلاؤُها بالألفةِ واجتماعِ العزمِ والكَلِمة، و﴿ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ تركيبٌ يُعبِّرُ عن ضَراوَةِ القِتالِ وبأسِه، و﴿مُرْدِفِينَ﴾ وصفٌ للملائكةِ في تتابُعِهم لتحقيق نَصرِ المؤمنين والذَّودِ عنهم؛ ليزولَ عنهم خوفُهم من عدم استعدادِهم وقِلَّةِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مكو)، والرّاغب، المفردات: (مكا)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (مكو).

عددِهم، و﴿خُمُسَهُۥ﴾ هو مِقدارُ مَصارِف الغنائم بعد إحرازِهم لها، و﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ تحديدٌ لِجهَتَي المسلمين والكافرين في مواقِع القتال. وعليه: فجميعُ تلك التّراكيب تعلّقَت تعلُّقًا مباشرًا بموضوعات السّورةِ الرّئيسةِ منَ الأنفال، وأحكامِ مصارِفها، والقتالِ وبأسِه، والحربِ وأعوانِها، والمعاهداتِ وجزاءِ النّاقضين لها.

بيانُ المناسبةِ بين السّورة وسابقتها:

دَغْـوَةُ سـورتي الأعـــراف والأنـفـال، لِنَبْذِ الأهواءِ، واطّراحِ الأطْماعِ المُرْدِيةِ

في سورةِ الأعرافِ بدأ السّورةَ برفعِ الحرجِ عنِ النّبيّ ﷺ، وتصفيةِ صدرِه لينذرَ ويُذكِّرَ، وفي سورةِ الأنفال بدأ ببيانِ حكمِ الأنفالِ لقومه؛ ليزولَ الحرجُ من قلوبهم بسببِ التّنازع، ويأتلفوا على حكمِ اللّهِ ورسولِه.

وفي سورةِ الأعرافِ ذكرَ قصّةَ الأممِ مع أنبيائهم، وذكرَ حالَ قومِ موسى معه في الامتحانِ والابتلاءِ، وفي سورةِ الأنفالِ ذكرَ قِصّةَ النّبيِّ ﷺ وحالَ قومِه معه في مواقفِ الامتحانِ كذلك.

وفي سورةِ الأعراف ذكَرَ أنَّ اتّباعَ الهوى والرّكونَ إلى عرَضِ الدّنيا والإخلادَ إلى الأرضِ سببُ الهلاكِ والبوار، في قوله: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُۚ﴾ [الأعراف: 169]، وفي قوله: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ﴾ [الأعراف: 176]، وفي سورةِ الأنفال حذّرَ منَ الخصومةِ على الدّنيا والتّنازعِ على غنائمها، وصرّحَ بعرَضِ الدّنيا كما صرّحَ بعرَضِ الأدنى في الأعراف، فقال جلّ شأنُه: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَۗ﴾ [الأنفال: 67].

وفي سورةِ الأعرافِ ذكَرَ امتحانَ آدمَ عليه السلام في الجنّة، وامتحانَ قومِ نوحٍ وهودٍ وصالحٍ وشعيبٍ ولوطٍ، وافتراقَ الأممِ إلى أصحاب الجنّةِ وأصحاب النّارِ، وامتحانَ بني إسرائيل مع موسى، وامتحانَ

أهلِ التّوراةِ والإنجيل بما يجدونه من وصفِ الرّسولِ النّبيِّ الأميِّ، فمنهم كافِرٌ ومنهم مؤمِنٌ، وامتحانَ الّذي آتاه اللّهُ تعالى آياتَه فانسلخَ منها، وامتحانَ الّذين أُخِذَ عليهم ميثاقُ الكتابِ ألّا يقولوا على اللّه إلّا الحقّ فأخذوا عرَضَ الأدنى، وامتحانَ بني آدمَ جميعًا بالعهد الّذي أخذَه اللّهُ تعالى عليهم في عالَمِ الذَّرِّ، وأشهدَهم على أنفسِهم بالإيمان، وامتحنَهم جميعًا بأن يتّقوا اللّه، ويتّقوا فتنةَ الشّيطان، وختَمَ السّورةَ بأنّه لن يُفلِحَ في هؤلاءِ جميعًا إلّا الصّالحون الّذين يتولّونَ اللّه فيتولّاهم اللّهُ سبحانه: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف: 196]، ثمّ في سورةِ الأنفالِ ذكرَ امتحانَ أهلِ بَدرٍ بإخراجهم للقتالِ في بدرٍ، وإلزامِهم حكمَ اللّهِ ورسولِه في الأنفال، وتحريضِهم على إفراغِ قلوبهم مِن أعراضِ الدّنيا ووقايةِ أنفسِهم من فتنةِ الأموالِ والأولادِ، وبَذلِ أنفسِهم وأموالِهم في الهجرةِ والجهادِ وإظهارِ الدّينِ، فكانَت عاقبةُ امتحانهم خيرًا ونصرًا وثباتًا كعاقبةِ آدمَ عليه السلام، وعاقبةِ أصحابِ الجنّةِ، وعاقبةِ الأمّةِ العادلةِ من قوم موسى، وعاقبةِ الأمّةِ العادلةِ في الخلق: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: 181]، فاجتمعَ هؤلاءِ جميعًا – في الأنفالِ والأعرافِ – في حُسنِ الحالِ والمآلِ وولايةِ اللّه لهم.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 15 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-11-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 15 : المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.
-1القرآن - تفاسير نحوية -2 القرآن، بديع -3 القرآن، بلاغة -4 القرآن - سور وآيات -5 القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-11-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»